خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠/٠٥/٢٠١١

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

لا يسعنا أداء الشكر على منة الله التي منَّها علينا بإرسال المحب المخلص والخادم البارّ للنبي ﷺ إمامِ الزمان والمسيح الموعود والإمام المهدي الذي بُعث تحقيقا لنبوءات النبي بعد زمن مظلم طويل. وإن أفضل وسيلة لإسداء الشكر تتمثل في أن نقرأ أقوال هذا المبعوث وتوجيهاته وكتاباته ونتدبرها ونطبّقها على حياتنا، وإن أروع المشاهد للعمل بالهدْي الإلهي في قوله ﷻ ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(التوبة ١١٩) نجده في حياة الصحابة الذين كسبوا فيوض النبي ﷺ

بالجلوس في مجالسه والانتفاع من مُجالسته حق الانتفاع، فبلَّغونا توجيهاته وأقواله القيمة وسردوا علينا أحداث مَجالسه ونقلوا لنا نصائحه. ثم في هذا الزمن الأخير الذي ظهر فيه محبُه المخلص الذي ألَّف كتبا عديدة في بيان التعليم السامي للإسلام وتفسير القرآن الكريم، وأثبت فيها للعالم تفوّقَ الإسلام وأفضليته على جميع الأديان، لكن حضرته عليه السلام كان يعقد مع الصحابة مجالس كثيرة متفاوتة الطول أيضا، كما أن له بعض الخطب التي ألقاها في الجلسات، وهي غير موجودة في تلك الكتب. كان الصحابة يكسبون الفيوض من صحبة المحب الصادق للنبي ﷺ المباركة، وقد حفظتْ هذه المجالسَ جرائدُ الجماعة في ذلك الزمن. كم كانوا سعداء أولئك الذين نالوا فيوض صحبة إمام الزمان عملا بالتوجيه القرآني في صحبة الصادقين، فنحن نشكر للذين جلسوا في تلك المجالس المباركة وطرحوا الأسئلة المتنوعة وسجلوا تلك الأقوال الحكيمة، فبواسطتها نستطيع أن نسمع ونقرأ تلك الأقوال اليوم أيضا حتى بعد مضي مائة عام، وبقراءتها أو الاستماع إليها نرى أنفسنا بعين التصور جالسين في مجلس الخادم البار للنبي ﷺ. اليوم قد اخترت من هذه المجالس بعض التوجيهات والنصائح التي تناولها في مجلسه بخصوص الصلاة والدعاء والعلاقة بالله سبحانه وتعالى.

لقد قال حضرته عليه السلام في خطبة طويلة ألقاها في الجلسة عام ١٩٠٧ وهو يلفت الانتباه إلى الدعاء: تذكّروا أن الله سبحانه وتعالى حين بدأ القرآن الكريم بالدعاء وختمه أيضا بالدعاء فمعناه أن الإنسان ضعيف جدا لدرجة لا يستطيع أن يتطهر من دون الفضل الإلهي، ولا يستطيع أن يتقدم على درب الحسنات ما

لم يَنَلْ العون والنصر من الله ﷻ، فقد ورد في حديث: كلكم ميت إلا من أحياه الله، وكلكم ضال إلا من هداه الله، وكلكم أعمى إلا من أبصره الله.

فالحق أنه ما لم يتأتَّ فضلٌ من الله يظلّ طوقُ حبِّ الدنيا محيطًا بالإنسان إحاطةَ القلادةِ المُحْكَمة، ولا ينجو منه إلا مَن رحمه الله. ولكن يجب التذكر أن فضل الله أيضا ينزل بالدعاء. (أي إن كنتم تريدون نوال فضل الله يجب عليكم أن تدعوا الله تعالى لذلك أيضا) ثم قال عليه السلام مؤكدا على اجتناب الوساوس في الصلاة:

"أيّ دعاء هذا أن يردد المرء ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ باللسان وقلبه مشغول في التفكير بكيفية إتمام الصفقة هذه أو تلك، أو أن الأمر الفلاني بقي عالقا، وأنه يجب إنجاز هذا العمل بالأسلوب الفلاني. وأنه لو حدث كذا فالعمل كذا. إن هذا ليس إلا إضاعة العمر. وما لم يؤثر الإنسانُ كتاب الله ولا يعمل بحسبه فإن صلواته لا تعني إلا هدر الوقت فحسب. (ثم قال عليه السلام: يجب على الإنسان أن يدعو الله لاجتناب هذا الأمر أيضا)

وفي هذا الصدد تُروى قصة أن شخصا صالحا ذهب ذات مرة إلى مسجد لأداء الصلاة وكان الإمام يفكر في أموره التجارية أثناء الصلاة بأني سأشتري سلعة كذا وكذا من أمرتسر ثم أبيعها في دلهي (هذه القصة رواها سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه) وسأربح نقودا كذا وكذا، ثم أشتري بضاعة أخرى من دلهي وأسافر إلى كالكوتا وسأربح هناك كذا وكذا، ثم أواصل مشواري إلى مدينة أخرى وهلم جرا. فترك الرجل الصالح الصلاة خلفه وبدأ يصلي وحده، لأن الله تعالى كشف عليه حالة الإمام القلبية. وبعد الصلاة شكاه المصلون

وقالوا للإمام بأن هذا الشخص لم يصل وراءك بل ترك الصلاة وصلّى وحده. فاستشاط الإمام غضبا وقال: ما السبب؟ لماذا فعلتَ ذلك؟ لماذا تركت الصلاة جماعة، فقد ارتكبت جريمة نكراء. قال الرجل الصالح: "أيها الشيخ المحترم، أنا رجل ضعيف؛ فأنت بدأت السفر من أمرتسر ووصلت إلى كالكوتا وكنت تعزم الوصول إلى بخارى، وأنّى لي أن أواصل هذا السفر الطويل معك"؟ ففي بعض الأحيان يتصرف أئمة الصلوات بهذه الطريقة أيضا.

ثم يقول عليه السلام في خطابه الذي ألقاه في عام ١٩٠٦م: "ما المراد من الصلاة؟ إنها دعاءٌ ويجب أن يتسم بالألم والحرقة الكاملَين، لذلك سمِّيت "الصلاة" لأن المرء يدعو بحرقة وألم أن يزيل الله تعالى النيات والأفكار السيئة من داخله ويخلق مكانها حبا خالصا بفيضه العام. إن كلمة "الصلاة" تدل على أن ترديد الكلمات وأداء الصلاة وحدها لا تكفي، بل لا بد أن تصحبها الحرقة والرقة والألم. إن الله تعالى لا يجيب دعاء أحد ما لم يُشْرِف صاحبه على الموت. إن القيام بالدعاء الحقيقي أمر في غاية الصعوبة، ولا يدرك الناس حقيقته، يكتب إليَّ الكثيرون أنهم دعوا لأمر كذا وكذا ولم يستجب لهم، وهكذا يسيئون الظن بالله تعالى ويهلكون قانطين، ولا يعرفون أنه لا جدوى من الدعاء الذي تعوزه مستلزماته التي أحدها أن يذوب القلب وتسيل الروح كالماء على عتبة الله تعالى، ويحدث فيها نوع من الكرب والاضطراب. بالإضافة إلى ذلك يجب ألا يستعجل الإنسان وألا يفقد صبره، بل ينبغي أن يواظب عليه بكل صبر ومثابرة، ثم يمكن له أن يتوقع استجابة مثل هذا الدعاء."

قال حضرته عليه السلام: "الصلاة هي الدعاء من الطراز الأول ولكن للأسف لا يقدرها الناس، ولا يفهمون حقيقتها أكثر من أنها طقس يحتوي على القيام والركوع والسجود وأداء بعض الجمل التي حفظوها كالببغاء سواء فهموا معانيها أم لا.... اعلموا، أننا – نحن وكل طلاب الحق– لسنا بحاجة إلى أي بدعة بعد هذه النعمة. كلما رأى النبي ﷺ مصيبة أو ابتلاء قام للصلاة. وهذه هي خبرتنا وخبرة الصلحاء قبلنا أيضا أنه ليس من شيء يماثل الصلاة في إيصال الإنسان إلى الله تعالى. يلتزم الإنسان بالأدب عند قيامه فيها كالعبد الذي يشبك يديه عند قيامه أمام سيده. ثم الركوع أيضا يحتوي على الأدب أكثر من القيام، أما السجدة فهي غاية في الأدب، إذ إن الإنسان يخر ساجدًا عند إلقاء نفسه في الفناء. فالأسف كل الأسف على الحمقى وأهل الدنيا الذين يريدون إحداث تغيير في طريق الصلاة ويعترضون على الركوع والسجود، في حين أنها أمور سامية تتميز بالكمال. اعلموا أنه ليس بيد الإنسان شيء ما لم يأخذ نصيبًا من ذلك العالم الروحاني الذي يبلغ صلاتَه ذروتها، ولكن أنى يوقن ببركات الصلاة مَن لا يوقن بوجود الله تعالى أصلا."

ثم يقول حضرته: "يجب على الإنسان القيام بالدعاء بحرقة وحماس ليعرِّفه الله تعالى على لذة الصلاة والعبادة كما عرّفه على طعم الثمار والأشياء الأخرى ولذّاتها التي أودعها فيها، وذلك لأن الإنسان لا ينسى طعم شيء تذوّقه. اعلموا أنه إذا تمتع الإنسان بالنظر إلى أحد تذكّره جيدًا.. كذلك إذا نظر إلى كريه الشكل وقبيح المنظر مُثلت له حالته أيضا، ولكن لو لم تنشأ له علاقة معه فلا يتذكره. كذلك الصلاة، فإنها غرامة عند تاركها فيرى القيام بها صباحًا

عبثًا بعد الوضوء في البرد الشديد وبعد تركه سريره الوثير وأنواعًا أخرى من أسباب الراحة. والحقيقة أنه يشعر بالضجر والملل في الصلاة فلا يعرف قدرها وليس مطلعًا على لذتها والراحة الكامنة فيها، فأنى له أن ينالها؟

ثم في عام ١٩٠٦ قال حضرته عليه السلام في أحد المجالس وهو يعظ الإخوة بشأن الدعاء: لقد ضرب عيسى عليه السلام مثالاً رائعًا بشأن الدعاء فقال: كان هناك قاض لا يعدل بين الناس، وكان يعيش منغمسًا في الملذات ليلَ نهارَ، وكانت لامرأةٍ قضية مرفوعة في محكمته، فأتت إلى بابه مطالبةً بالعدل، ولكن من دون جدوى، فظلت تأتيه وتطالبه بالعدل دونما انقطاع حتى تضايق منها وحكَم أخيرًا في صالحها حكمًا عادلاً.

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام: أتظنون أن ربكم ليس مثل القاضي أيضًا ولا يستجيب لدعائكم ولا يحقق لكم مطلبكم. على المرء أن يواظب على الدعاء بثبات، وسيأتي وقت الاستجابة حتمًا. إن الاستقامة شرط للاستجابة.

ثم قال المسيح الموعود عليه السلام في إحدى المرات: لا فائدة من أداء الصلاة على سبيل الطقس والعادة، بل إن الله تعالى قد توعَّد مثل هؤلاء المصلين بالويل واللعنة، دَعْ عنك أن يتقبل صلاتهم، قال الله تعالى: ﴿فويل للمصلين﴾. وقد ورد هذا في المصلين الذين هم غافلون عن حقيقة الصلاة ومفاهيمها. كانت العربية لغة الصحابة –رضوان الله عليهم– فكانوا يعرفون حقيقة الصلاة جيدًا، أما نحن فلا بد لنا من معرفة معاني كلمات الصلاة ونسعى لنجد ما فيها من حلاوة. يظن هؤلاء (أي المعارضون) وكأنني نبي جديد وقد نسختُ صلاتهم (يعني: أنهم قد حوّلوا الصلاة طقسًا فارغًا دون أن يدركوا ما فيها من حقائق

ومعان وأهداف، ولذلك يتصورون وكأني نبي جديد جئت بأحكام جديدة وألغيت صلاتهم التي في تصورهم).

ثم قال حضرته عليه السلام: اعلموا أنه ليس لله أية فائدة في الصلاة، بل نفعها للإنسان حيث تتاح له فرصة الحضور إلى الله تعالى ويعطى شَرَفَ رفْعِ طلبِه إلى الله تعالى مما يخلّصه من مشاكل كثيرة. إني أقول في حيرة: كيف يعيش هؤلاء القوم الذين ينقضي ليلهم ونهارهم دون أن يعرفوا أن لهم ربًا. اعلموا أن مثل هذا الإنسان هالكٌ لا محالة اليوم وغدًا.

ثم قال حضرته عليه السلام: ها إني أنصحكم نصيحة هامة ليتها تقع في القلوب. ألا إن العمر ينقضي بدون توقف، فاتركوا الغفلة وتضرعوا. ادعوا الله تعالى فرادى بأن يحفظ إيمانكم ويرضى عنكم.

وبينما كان حضرته عليه السلام جالسًا في مجلس عام ١٩٠٧ تطرق الحديث إلى اثنين من أبناء الجماعة قد تباغضا، فنصح عليه السلام الحضورَ نصائح كثيرة منها: لا يستجاب دعاء المرء ما لم يكن صدره مطهرًا. إذا كان يكنّ في صدره حقدًا ضد شخص واحد لسبب دنيوي فلن يستجاب دعاؤه. تخلّوا عن هذه الخصومات والبغضاء والأنانية الباطلة التي يكنّها البعض ضد البعض، وانفُضوا من قلوبكم هذا الحقد والبغض، لأن دعاءكم مردود ما دامت في قلوبكم بغضاء وشحناء ضد الآخرين. احفظوا هذا الأمر جيدًا ولا تبغضوا أحدًا لسبب دنيوي. ما قيمة الدنيا وأسبابها حتى يعادي بعضكم بعضًا من أجلها؟

كان المسيح الموعود عليه السلام يخرج للتنزه كل صباح في رفقة بعض الأحباب، وكان يتحدث في موضوع ما خلال النزهة. وسوف أقرأ على مسامعكم

جزءًا من حديثه الطويل في صباح أحد الأيام عام ١٩٠٨. قال عليه السلام: بعض الناس يسمعون من أذن ويُخرجون ما سمعوه من أذن أخرى، ولا يُنزلونه في قلوبهم، ولا يتأثرون مطلقًا مهما وُعظوا. اعلموا أن الله تعالى غنيّ جدًّا، ولا يبالي بأحد ما لم يُكثِر الدعاء باضطراب مرة بعد أخرى. انظروا كيف يصاب المرء بالقلق والاضطراب إذا مرضتْ زوجتُه أو ولدُه أو رُفعتْ ضده قضية خطيرة، كذلك يظلّ الدعاء عبثًا بلا تأثير على الإطلاق ما لم يكن مصحوبًا بلوعة صادقة واضطراب شديد. الاضطراب شرط للاستجابة لقوله تعالى ﴿أمَّنْ يُجيبُ المضطرَّ إذا دعاه ويكشف السوء﴾. وبعدها قال الله تعالى إنه هو الذي يجيب دعاء المضطر.

لقد ألقى عليه السلام خطابا طويلا في لاهور في مجلس يضم غير الأحمديين أيضا، وتحدّث فيه عن الدعاء فقال: المراد الحقيقي من الإسلام هو أن يجعل المرء رضاه تابعا لمرضاة الله. ولكن الحق أن هذه المرتبة لا ينالها المرء بقدرته هو. غير أنه لا شك في أنه من واجب الإنسان أن يقوم بالمجاهدات، ولكن الوسيلة الحقيقية والصادقة للحصول عليها هي الدعاء. الإنسان ضعيف في حد ذاته، فلا يستطيع أن يعبر هذا الطريق الصعب ما لم تتسنّ له القوة والقدرة بالدعاء. لقد قال الله تعالى عن ضعف الإنسان: ﴿وخُلق الإنسان ضعيفا﴾، وإن ادّعاء المرء الحصولَ على هذه المرتبة الرفيعة بقوته هو مع هذا الضعف والهوان فكرة باطلة ولاغية تماما. فهناك حاجة ماسة للدعاء بهذا الصدد. إن الدعاء قوة عظيمة وبواسطته تهون الصعاب الكبيرة. فيعبُر الإنسان منازل صعبة بكل سهولة ويسر لأن الدعاء قناة تجذب الفيض والقوة التي تأتي من الله تعالى. إن

الذي يستمر في التركيز على الدعاء يجذب ذلك الفيض في نهاية المطاف وينال التأييد الإلهي ويحقق أهدافه. غير أن الله تعالى لا يريد مجرد الدعاء، بل على المرء أن يستخدم جلّ مساعيه ومجاهداته، ويسعى كل سعي وإلى جانب ذلك يقوم بالدعاء أيضا. إن عدم استخدام الأسباب والعكوفَ على الدعاء وحده جهل عن آداب الدعاء وبمنزلة امتحان الله. وكذلك السقوط على الأسباب وحدها واعتبار الدعاء لا شيء إلحادٌ. اعلموا يقينا أن الدعاء ثروة عظيمة. والذي لا يترك الدعاء لن تحل بدينه آفة لأنه متحصّن في حصن يحرسه الجنود المدججون بالأسلحة. أما مَن كان غافلا عن الدعاء فمَثَلُه كمَثَل الذي كان أعزل وضعيفا أيضا ومع ذلك هو في فلاة مليئة بالسباع والضواري والدواب المؤذية. فله أن يدرك أنه ليس في مأمن مطلقا بل سيصير صيدا للكواسر في لمح البصر، ولن يسلم له عظم ولا لحم. لذا يجب أن تتذكروا أن سعادة الإنسان العظمى وسبيل حمايته هو الدعاء وحده. وإن الدعاء – إن استمر به – هو الملاذ له.

كذلك قال عليه السلام في مجلس آخر عُقد في لاهور: الأمر الثاني بعد إصلاح الأخلاق هو أن يحظى المرء بحب خالص لله بواسطة الدعاء. أصلِحوا أخلاقكم، ثم حاولوا نيل حب الله تعالى بواسطة الدعاء. على المرء أن يبتعد عن كل نوع من الذنب والسيئة، وتتسنى له حالة حيث ينفصل عن كافة أنواع الكثافات الداخلية ويصبح كقطرة صافية. ما لم تتسن هذه الحالة للمرء تظل الأخطار تحوم على رأسه دائما. ولكن يجب عليه ألا يترك الدعاء إلى جانب اتخاذ الأسباب لأن الله تعالى أيضا يحب الأخذ بالأسباب، لذلك أقسم

ﷻ في القرآن الكريم قائلا: ﴿فالمدبِّرات أمرا﴾.. وحين يدعو المرء لاجتياز هذه المرحلة ويقوم بالتدابير أيضا، ويتخلى عن أي مجلس وأي صحبة وأي علاقة تحول دون ذلك ويتنحّى عن العادات والتقاليد والتصنع وينصرف إلى الدعاء فسوف يرى أمارات القبول يوما ما. من خطأ الناس أنهم يتوقفون بعد الدعاء لفترة وجيزة ثم يشتكون بأننا دعونا إلى فترة كذا وكذا ولكنه لم يُقبل. ولكن الحق أنهم لم يؤدوا حق الدعاء فكيف يُقبل! إذا كان المرء جائعا أو ظامئا بشدة ويأكل حبة واحدة أو يشرب قطرة واحدة ثم يشكو أنه لم يشبع هل ستكون شكواه في محلها؟ كلا، لن يستفيد شيئا ما لم يتناول كمية مناسبة من الطعام أو الشراب. والحال نفسه بالنسبة إلى الدعاء، فلو ركّز الإنسان عليه باستمرار وبآدابه لنال مبتغاه يوما من الأيام. وقد ضل مئات الناس بتركه بعد فترة وجيزة وهلكوا. وهناك آخرون على وشك الهلاك. *(أي لو تركتم الدعاء بعد فترة وجيزة فلتكونوا جاهزين للهلاك)* كذلك أنّى للدعاء الذي يقوم به المرء لأيام معدودة أن يُري تأثيره إذا وُجدت في صاحبه سيئات هو غارق فيها من قمة الرأس إلى أخمص القدمين. ويكون الناس مصابين بالعُجب والزهو والكبر والرياء وغيرها من الأمراض التي تضيع الأعمال. إن مَثَل العمل الحسن كمَثل طير، لو أبقيتموه في قفص الصدق والإخلاص لبقي، وإلا لطار واختفى. وهذا لا يتأتّى دون فضل من الله تعالى. يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١١) والمراد من العمل الصالح هنا هو ألا تشوبه شائبة السيئة قط، بل يسوده الصلاح فقط. يجب ألا يكون هناك عُجب ولا كبرٌ ولا نخوة ولا استكبار،

ولا شائبة من الأهواء النفسانية، كما ينبغي ألا تكون من أجل الخلق. *(أي يجب ألا يعلّق الآمال على الناس)* حتى لا تكون من أجل الجنة أو الجحيم، بل يجب أن تكون أعماله نابعة من حب الله تعالى. ولو تخللتها أهداف أخرى لتعثّر. وهذا هو الشرك بعينه لأنه لا فائدة من الصداقة والحب الذي يكون مبنيا على فنجان قهوة أو حب زائف آخر. إن هذا النوع من الإنسان حين يلاحظ الفتور في *هذا الحب* يقطع العلاقة فورا. والذين ينشئون مع الله علاقة لينالوا مالا أو أولادا أو لينجحوا في أمور كذا وكذا تكون علاقاتهم مؤقتة ويكون إيمانهم في خطر، بحيث كلما أصيبت أهدافهم الشخصية بصدمة ما و لم تتحقق أغراضهم فَتَرَ إيمانهم. لذا فالمؤمن الصادق هو ذلك الذي لا يعبد الله لهدف معين. بمعنى أنه لا يعبد الله بشرط أنه لو تم ذلك لفعلت كذا وكذا.

وفي مجلس آخر عُقد في لاهور قال عليه السلام: هناك الكثير من الناس الذين يؤمنون بالله باللسان ولكن لو فحصتموهم لوجدتم فيهم الإلحاد لأنهم عندما ينشغلون في مشاغل دنيوية ينسون غضب الله وعظمته نهائيا. لذا من الضروري جدا أن يطلب المرء المعرفة من الله بالدعاء، وبدونه لا يبلغ اليقين مبلغ الكمال قط، بل سينال الكمال حين يعلم المرء جيدا أنَّ في قطع العلاقة بالله موته. فحين تدعون للاجتناب من الذنوب يجب ألا تتركوا الأسباب أيضا من اليد. أي يجب أن تدعوا لتجنّب الذنب.. واتخذوا الأسباب أيضا، وابتعدوا من كافة المجالس والمحافل التي من شأن الاشتراك فيها أن تجركم إلى الذنوب. *(وهذا ضروري ولاسيما للشباب أن يبتعدوا عن المجالس والمحافل واللغو الذي يقود إلى الذنوب)* وإلى جانب ذلك التزموا بالدعاء أيضا. اعلموا جيدا أن الآفات

التي تصيب المرء نتيجة القضاء والقدر لا تزول قط ما لم ترافقها نصرة من الله. وفي الصلاة التي تؤدَّى خمسَ مرّات أيضًا إشارة إلى أن الإنسان إذا لم يَحْمِ صَلاتَه من النـــزعات والأفكار النفسانية فلن تُعَدَّ صلاةً حقيقية أبدًا. إن الصلاة لا تعني أبدًا بِضْعَ نقراتٍ وأداءَها مجردَ طقس من الطقوس. كلا، بل إن الصلاة عملٌ ينبغي أن يشعر به القلب أيضا حتى تذوب الروح وتخرّ على عتبة الله من شدة الخوف. على المرء أن يسعى بكل ما أوتي من قوة حتى تتولد في قلبه الرِّقَّة، ويدعو بمنتهى الضراعة ليزول ما في نفسه من التجاسر والذنوب. وإن صلاة كهذه هي الصلاة المباركة، ولو داومَ عليها الإنسان لوجد أن نورًا قد نزل على قلبه ليلاً أو نهارا، وأن نزعة نفسه الأمّارة قد خفَّتْ وتراجعتْ. وكما أن في الأفعى سُمًّا قاتلاً، كذلك يوجد في النفس الأمّارة سُمّ قاتل، ولا علاجَ له إلا بيدِ مَن خلَق هذه النفس. *(أي إذا كان الله قد خلقكم فاسألوا الله ﷻ علاج جميع الذنوب والأشياء الضارة كلِّها، ببذل المساعي الحثيثة)*

ثم كان حضرته في اجتماع يضم المبايعين الجدد أيضا في ١٩٠٤ فقال لهم ناصحا: من أجل الدعاء يجب على الإنسان أن يفحص قلبه وأفكاره هل يميل إلى الدنيا أم الدين، أي هل يُكثر الدعاء لنِعم الدنيا ورفاهيتها أو لتوفيقه لخدمة الدين؟ (هذا الأمر جدير بالانتباه الكبير، حيث يجب أن تلاحظوا اتجاه ميولكم، أإلى الدنيا أم الدين؟ وما هو المعيار للتأكد من ذلك؟ فقد قال: عليكم أن تفحصوا أن الأدعية التي تدعونها هل معظمها لنيل النِّعم الدنيوية ورفاهيتها ولسدّ الاحتياجات الدنيوية المادية، أم للدين وخدمته). فإذا عِلِم أن ما يبعثه على الدعاء قياما وقعودا وعلى جنبه هي همومُ الدنيا وأغراض الدنيا،

ولا يهمه الدينُ، فعليه أن يبكي على أوضاعه، فقد لوحظ كثيرا أن الناس يقومون بجهود شاقة لنيل الدنيا، وينشغلون في الدعاء أيضا، لكنهم في نهاية المطاف يصابون بأنواع المصائب والأمراض، حتى يصاب بعضهم بالجنون. أما إذا كان الاهتمام الكلي للمرء منصبّا في حصول الدين فإن الله لا يضيعه أبدا. فمَثل القول والعمل كمثل الحبة، فلو أعطينا أحدا حبة فتركها في مكان و لم يستخدمها فسوف تأكلها السوس، كذلك إذا كان هناك قولٌ و لم يقترن بعمل فسوف يأتي يوم يختفي فيه القولُ أيضا، لهذا يجب الاستباق في الأعمال. (أي ينبغي أن تسعوا إلى الأعمال، إذا بذرتم حبة فستنبت منها شجرة، أما إذا تركتموها فستتسوس).

ثم قال في أثناء الحديث عن الدعاء الحقيقي في مجلس في كانون الثاني/ يناير ١٩٠٨: للدعاء نوعان نوع يتمثل في الدعاء العادي، والثاني: حين يوصله المرء لمنتهاه، وهذا الأخير هو الدعاء الذي يجدر أن يسمى في الحقيقة الدعاءَ.

على الإنسان أن يواظب على الدعاء حتى إذا لم يتعرض لأي مشكلة، (فليس من الضروري أن يدعو الإنسان عند تعرُّضه للمشاكل، بل ينبغي أن يداوم على الدعاء حتى في الأوضاع العادية) فهو لا يعلم مشيئة الله وما الذي يحدث غدا، فادعوا الله سلفا لتُعصموا. أحيانا يتعرض الإنسان لبلية بحيث لا يجد الفرصة للدعاء، فلو كان قد دعا قبل ذلك فهو يفيده في الساعة الحرجة، وهذه هي أهمية الدعاء.

ثم قال حضرته عليه السلام في خطاب له: لقد خُلق جسم الإنسان في الظاهر بحيث تحتاج يداه ورِجلاه إلى بعضهما البعض، وإذا كان يلاحظ وضع التعاون هذا

في أعضاء جسمه فكم يبعث على التعجب والاستغراب أنه لا يفهم مغزى قوله تعالى: ﴿تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة ٣)، إلا أنني أقول أن ابحثوا عن الوسائل بالدعاء، (أي ينبغي أن يكون البحث عن المتاع المادي أيضا بالدعاء)، أما التعاون المتبادل فيما بينكم، فحين أُريكم نظاما كاملا دالا على ذلك قد أقامه الله ﷻ في أجسامكم فلا أرى أنكم تنكرونه. إن الله قد أقام في الدنيا سلسلة الأنبياء ليُبين هذا الأمر للعالم ويوضِّحه أكثر، فكان الله ﷻ ولا يزال قادرا على أن لا يُبقي الرسل محتاجين إلى أي نوع من المساعدة إذا أراد ﷻ، ومع ذلك يأتي عليهم زمن لا يجدون بدا من الإعلان: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ﴾ (آل عمران ٥٣). فهل مَثَلُ إعلانهم كمَثَل الشحاذ الذي يطلق النداء للحصول على بعض كسرات الخبز؟ كلا بل إن قولهم: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ﴾ يتَّسم بهيبة وعظمة حيث يقصدون بذلك تعليمَ العالم مراعاةَ الأسباب، التي هي من لوازم الدعاء (فحين يقول الأنبياء ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ﴾ فلا يقولون لأغراض شخصية، وإنما يريدون أن يعلِّموا الدنيا مراعاةَ الأسباب) وإلا فإن إيمانهم الكلي يكون بالله ﷻ وحده وهم يثقون بوعوده. إنهم يعلمون أن وعْدَ الله ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (غافر ٥٢) قطعي ومؤكد. وأنا أقول إذا لم يُلق الله ﷻ في رُوع أحد فكرة النَّصر، فأنى لأحد أن يتقدم للنصر. فالحقيقة أن المُعين الحقيقي والنصير هو الذات القدوس الذي يوصف بـــ "نِعْمَ المولى ونِعْمَ الوكيل، ونِعْمَ النصير" وإن الدنيا ونَصْرها كالميت في نظر هؤلاء، ولا يرونها تساوي الدودةَ الميتة، لكنهم يتخذون هذا المنهج أيضا لتعليم الدنيا الطريق البسيط العام للدعاء، ويؤمنون بأن الله وحده

في الحقيقة يتولى أمورهم. وهذا هو عين الصواب، فقد ورد ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٧).. إن الله يأمرهم بأن يُظهروا شئونهم عن طريق الآخرين. كان رسولنا الكريم ﷺ يسأل المساعدة في مناسبات كثيرة، وذلك لأن الزمن كان بحاجة إلى نصرٍ إلهي، فكان يتحرّاه.

ثم يقول حضرته عليه السلام: إن مَثل الداعي كجالس عند نبع الماء المَعين، فهو يستطيع أن يروي نفسه متى يريد، فكما لا يستطيع السمكُ العيشَ خارج الماء كذلك فإن الدعاء بمثابة الماء للمؤمن، بحيث لا يستطيع العيش دونه، وإن أفضل محل للدعاء هو الصلاة، إذ يتمتع فيها المؤمن بالراحة والسرور الذي يساوي مقابله شيئا قمةُ اللذة والمتعة التي ينالها المنغمسُ في الملذات في أعمال الفاحشة.

إن أكبر ما يناله الإنسان بالدعاء هو القرب الإلهي، فبالدعاء يتقرب المرء إلى الله ويجذبه إليه، فحين يتحقق الإخلاص التام والانقطاع الكامل في دعاء المؤمن، فإن الله سبحانه وتعالى هو الآخر يرحمه ويتولاه، فلو تأمل المرء حياته لوجدها مريرة إذا لم يتولَّها الله. انظروا حين يبلغ المرء سن النضج، ويدرك ما ينفعه ويضره، فتبدأ سلسلة طويلة لخيبات الأمل والإخفاق، ويواجه أنواع المصائب فيبذل الجهود لتفاديها، ببذل المال وإنشاء العلاقات مع الحكام وبأنواع المكر والخداع. فحين تظهر المصائب في الدنيا يبذل الإنسان لاجتنابها كل ما في وسعه، فإذا كان يملك المال والثروة فهو ينفقها للاتقاء منها، وإذا كانت له العلاقات الجيدة مع المسؤلين فهو يستغلها، أو يلجأ إلى أنواع الحيل والمكائد، فهو يحاول الخروج منها بأي طريقة ممكنة لكنه يتعذر عليه النجاحُ، وأحيانا

تؤدي به مشاكلُه المريرة إلى الانتحار. فإذا قارنّا بين هموم أهل الدنيا وأحزانهم وآلامهم وبين مصائب أهل الله أو الأنبياءِ فإن هموم الفريق الأول معدومة تماما مقابل مصائب الأنبياء عليهم السلام، ولكن هذه المصائب والشدائد لم تسبب لحزب الأطهار هذا ألمًا ولا حزنًا. إن المصاعب التي يتعرض لها الأنبياء والأولياء لا تسبب لهم حزنًا ولا أسفًا ولا تؤثر شيئا على فرحتهم وسرورهم لأنهم في رعاية الله تعالى بسبب دعائهم. اعلموا أنه لو كان أحد على صلة بالحاكم الذي سمح له بالاستعانة به عند حلول مصيبة من المصائب لكان هذا المرء أقل همًّا وحزنًا من غيره عند حلول مشكلة لا يقدر هذا الحاكم على إزالتها، فكيف يمكن إذًا أن يقلق عند حلول المصائب والشدائد من كانت له علاقة متينة مع أحكم الحاكمين؟ فلو حلَّ بأحد عُشرُ ما يتعرض له الأنبياء عليهم السلام من مصاعب لقضى عليه، أما هؤلاء فعند بعثتهم لإصلاح الناس يتحول العالم كله أعداء لهم، ومئات الألوف من الناس يتعطشون لإراقة دمائهم، ولكن هؤلاء الأعداء الألداء أيضا لا يقدرون على إزعاجهم. لو كان لأحد عدوٌ واحدٌ فحسب فلا يشعر بالأمن من شره كل حين وآن ناهيك أن يناصب له البلد كله العداء ثم يعيش مطمئنًّا ومتمتعًا براحة البال ويتحمل جميع تصرفاتهم المريرة بقلب هادئ. إن صبرهم عليها معجزة أو كرامة بحد ذاته. أما ثبات الرسول ﷺ فهي أكبر من مئات الألوف من المعجزات. فإن اتحاد القوم كله ضده، وإغراءَهم له بالثروة والحكومة والمنصب الدنيوي والأزواج الجميلات وغيرها بشرط امتناعه عن إعلاء كلمة: لا إله إلا الله، وردُّ النبي ﷺ عليهم بأنه لو كان كل ذلك من عند نفسي لقبلت عرضكم، ما جئت بما

جئتكم به إلا بأمر من الله تعالى، ثم تحمُّله صنوفًا من الإيذاء والتعذيب؛ لهو معجزة عظيمة تفوق قدرات الإنسان، ولا يتحلى المؤمن بمثل هذه الطاقة والقدرة على التحمل والصبر من الله تعالى إلا بالدعاء، فإن دعاء هؤلاء القوم يقضي أحيانًا على هجماتٍ شرسة للأعداء. لا بد أنكم سمعتم قصد عمر ﷺ لقتل النبي ﷺ. لقد أعلن أبو جهل في قومه أن من قتل النبي ﷺ نال جائزة عظمى، فتعاهد عمر ﷺ قبل إسلامه مع أبي جهل ووطّن نفسه على قتل النبي ﷺ، ثم راح يتحين الفرصة لذلك، فعلم أن النبي ﷺ يرتاد الكعبة في منتصف الليل للصلاة، فاستحسنه عمر وجاء الكعبة عند حلول المساء وجلس مختبئًا، فلما انتصف الليل تناهى إلى سمعه صوت "لا إله إلا الله". أراد عمر قتل النبي ﷺ عند سجدته لربه. بدأ النبي مناجاته مع ربه بكل حرقة وألم، ثم حمد الله تعالى في السجدة بطريقة رقّ بها قلبُ عمر وفَقَدَ جرأته واندفاعه لقتل النبي ﷺ بل طرأ اضمحلال على يده القاتلة. فلما أنهى النبي ﷺ صلاته وتوجه تلقاء بيته تبعه عمر، انتبه النبي ﷺ لصوت قدميه فقال: أما تتركني يا عمر؟ صاح عمر مخافة أن يدعو عليه النبي ﷺ: لقد تخليت عن إرادتي لقتلك، فلا تدعو علي. كان عمر ﷺ يقول: أول ما وقع الإسلام في قلبي كان في هذه الليلة."

ثم قال حضرته في أحد المجالس: "إن العدوَّ شريرَ الطوية يعترض على كل قول أو فعل لنا بسبب عدائه، لأن قلبه قد فسد، ومَن فسد قلبه تراءت له الظلمات في جميع الجهات. يقول مثل هؤلاء الجهلة عني بأنني جالس في مكاني ولا أحرك ساكنًا، ولا يعرفون أنه لم يرد عن المسيح الموعود في أي كتاب أنه يمتشق السيف فيقوم بالحرب، بل كل ما ورد هو أن الناس يهلكون بنفَسه،

أي أنه ينجز جميع مهامه معتمدًا على الدعاء. فلو كنت أعرف أن خروجي من الدار وتجوالي في المدن يجدي نفعًا لما جلست ههنا لحظةً، ولكنني أعرف أن مثل هذا السير ليس نافعًا ولا يسفر إلا عن إرهاق القدمين، ولا يمكن أن تتحقق جميع هذه الأهداف التي نريد تحقيقها إلا بواسطة الدعاء. لقد أودع الله الدعاء قوى خارقة عظيمة."

ثم يقول حضرته: "يحكى أن أحد الملوك خرج لغزو بعض البلاد، فلما كان في طريقه مسك أحد الفقراء لجام فرسه قائلا: لا تتقدم وإلا فسأحاربك. تحير الملك وقال له أنت تعاني فقرًا مدقعًا لا حول لك ولا قوة، فبماذا ستحاربني؟ رد عليه الفقير: سأحاربك بحربة الدعوات الليلية، فقال الملك إذًا لا أستطيع مقاومتك، ورجع القهقرى. باختصار لقد أودع الله تعالى قوى خارقة في الدعاء. وقال لي الله تعالى مرارًا في وحيه إنه لن يتحقق أي شيء إلا بالدعاء. إن حربتنا هي الدعاء وليس عندي سواها حربة بُعثت بها. ما ندعو به خفيةً يظهره الله تعالى. لا شك أن بعض الأعداء في زمن الأنبياء السابقين قد عوقبوا على يد الأنبياء أيضا، ولكنه تعالى يعلم بأننا ضعاف لا حول لنا ولا قوة، لذلك فقد تولى بنفسه جميع أعمالنا، فلم يبق للإسلام إلا سبيل واحد ولا يفهمه علماء الظاهر والفلاسفة المتمسكون بالقشور. لو كان سبيل القتال مفتوحًا لهُيّئت لنا أسبابه أيضا. عندما تبلغ دعواتنا ذروتها ستؤدي إلى هلاك الكاذبين تلقائيا. يقول المعترض الذي اسود قلبه بأنه ليس همّنا سوى الأكل والنوم ولكنه لا يعرف أنه ليس من سلاح أمضى من الدعاء، والسعيد من يفهم بأي طريق يريد الله تعالى ازدهار دينه."

ولقد قدمت أمامكم بضعة نماذج للدعاء من كلام المسيح الموعود عليه السلام، وفقنا الله تعالى لفهم موضوع الدعاء والعمل به في حياتنا، وأن يكون أكبر همّنا هو التقرب إلى الله ونيل رضاه، وأن نكون من الخاضعين والداعين له في الفرح والترح. ووفقنا لفهم مسؤولياتنا التي تقع على عاتقنا بعد ارتباطنا بالمسيح الموعود عليه السلام بعلاقة المبايعة، منها أن يصبح قولنا وفعلنا هادفًا لنيل رضا الله تعالى، ووفقنا الله لتقديم الدين على الدنيا والدعاء له مخلصين. أكثروا من الدعاء في هذه الأيام – التي تتعرض الجماعة فيها لهجمات من المعارضين – ليحفظ الله تعالى الجماعة في كل حين وآن ويردّ شرور الأعداء وكيدهم في نحورهم. اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم.

رب إني مظلوم فانتصر.

رب كل شيء خادمك ربّ فاحفظني وانصرني وارحمني.

وهناك دعاء كان المسيح الموعود عليه السلام يدعو به خاصة وهو: رب توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين.

ندعو الله تعالى أن يجعلنا من الصالحين ويستجيب دعواتنا ويوفقنا للسلوك في الدروب التي أرادها لنا المسيح الموعود عليه السلام. آمين.